قراءة في أبيات من لامية العجم للطغرائي

تنبيه:

- يجب الجمع بين المحاضرات والكتاب
- النصوص التي يُستشهد بها يتم الإشارة إلى صفحتها.

****

(البسيط)

١ أعدى عدوِّكَ أدنى من وَثِقْتَ به ** فحاذرِ الناسَ واصحبهمْ على دَخَلِ

٢ وإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها ** من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

٣ وحسنُ ظَنِّكَ بالأيام مَعْجَزَةٌ ** فظُنَّ شَرّاً وكُنْ منها على وَجَلِ

٤ غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ ** مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ

٥ وشانَ صدقَك عند الناس كِذبُهمُ ** وهل يُطابَقُ معوَجٌّ بمعتَدِلِ

٦ يا وارداً سؤْرَ عيشٍ كلُّه كَدَرٌ ** أنفقتَ عُمرَكَ في أيامِكَ الأُوَلِ

٧ فيمَ اعتراضُكَ لُجَّ البحرِ تركَبُهُ ** وأنتَ تكفيك منه مصّةُ الوَشَلِ

٨ مُلْكُ القناعةِ لا يُخْشَى عليه ولا ** يُحتاجُ فيه إلى الأنصار والخَوَلِ

٩ ترجو البَقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها ** فهل سَمِعْتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ

١٠ قد رشَّحوك لأمرٍ إنْ فطِنتَ لهُ ** فاربأْ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

- **ترجمة الشاعر:**

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي(٤٥٥ – ٥١٣ هـ / ١٠٦٣ – ١١٢٠ م). شاعر ، من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ، ولد بأصبهان، اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته. ثم اقتتل السلطان مسعود وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمود وقبض على رجال مسعود وفي جملتهم الطغرائي، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النقمة عليه، لما كان الطغرائي مشهوراً به من العلم والفضل، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك ، فاتخذ السطان محمود حجة فقتله. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. وللمؤرخين ثناء عليه كثير، له ديوان شعر مطبوع، وأشهر شعره لامية العجم ومطلعها .

- **ترجمة الدميري (شارح الأبيات) :**

" هو محمد بن موسى بن عيسى بن على الكمال أبو البقاء الدَّمِيريّ الأصل، القاهري، الشافعي، والدميري . بالفتح والكسر . نسبة إلى دَمِيْرَة قرية في الوجه البحري بمصر وهي تابعة لمركز طلخا في محافظة الدقهلية (حاليا). والدليل على نسبته لهذه القرية هو وجود مسجد في هذه القرية باسمه، والمسجد مازال موجوداً إلى الآن، ويقام احتفال سنوي في القرية لهذا العالم الجليل.كان اسمه أولاً كمالاً بغير إضافة، وكان يكتبه كذلك بخطه في كتبه، ثم تسمى محمداً وصار يكشط الأول، وكأنه لتضمنه نوعاً من التزكية مع هجر اسمه الحقيقي. التحق بالأزهر، وتعلم الأدب والفلسفة والحديث والفقه ودرس على يد مجموعة من كبار علماء الأزهر، فتفقه

على: الشيخ بهاء الدين أحمد السبكي، ولازمه كثيراً، وانتفع به، والشيخ جمال الدين الأسنوي، والقاضي كمال الدين أبي الفضل النويري المالكي، الذي أجازه بالفتيا والتدريس ... برع في التفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، والعربية، والأدب، وغيرها وأذن له بالإفتاء والتدريس، وتصدى للإقراء فانتفع به جماعة، وأصبح من فقهاء الشافعية، وقال الشعر، ودرَّس في عدة أماكن، فقد حدث بالقاهرة، وسمع منه الفاسي فيها، وأفتى ودرس بأماكن بالقاهرة منها جامع الأزهر، وكانت له فيه حلقة يشغل فيها الطلبة يوم السبت غالباً... ألَّف كمال الدين الدميرى العديد من الكتب في الفقه والحديث والأدب، واختصر وشرح الكثير من الكتب، فشرح المنهاج في أربعة مجلدات، وسماه النجم الوهاج، ضمنه فوائد كثيرة خارجة عن الفقه، وعظم الانتفاع به، وله الديباجة في شرح سنن ابن ماجة في خمس مجلدات، مات قبل تحريره وتبيضه، ونظم في الفقه أرجوزة طويلة، فيها فروع غريبة وفوائد حسنة، وله تذكرة مفيدة، وله خطب مدوّنة جمعية ووعظية، واختصر شرح الصفدي للامية العجم المطبوع باسم الغيث المسجم في شرح لامية العجم، على أن أهم مؤلفاته وأشهرها كتاب حياة الحيوان الكبرى، ويعتبر هذا الكتاب مزيجا من العلم والأدب والفلسفة والتاريخ والحديث . وقد تمت ترجمته إلى العديد من اللغات واقتبس منه العديد من الغربيين. وقد رتب الدميري كتابه هذا الذى أعده ليكون أول مرجع شامل في علم الحيوان باللغة العربية الكائنات التى كتب عنها ترتيبا أبجديا، على طريقة المعجم، ومات بعد حياة علمية حافلة بالقاهرة، في ثالث جمادى الأولى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م، وصلي عليه ثم دفن بمقابر الصوفية سعيد السعداء ".

- **سبب التسمية بـ " لامية العجم "**

سميت هذه القصيدة بـ " لامية العجم " ، ولم تسم بـ " لامية الطغرائي "، وقد أثار ذلك تساؤلات كثيرة، لِمَ لَمْ تسم بلامية الطغرائي كما في: دالية النابغة الذبياني، وبائية ذي الرمة، ولامية الأعشى... وغيرها؟!، فقد نُسبت هذه القصائد لأصحابها، ومن المؤكد أن الذين نسبوها ليسوا أصحابها، وإنما نسبها لهم الشراح والدارسون لها.

وللإجابة على هذا السؤال، نقول : لقد عرفت هذه القصيدة بلامية العجم قديماً، فأول شراحها العكبري ت٦١٦هـ وضع عنواناً لشرحه قائلاً: " كتاب شرح لامية العجم "، وفي النهاية قال: " آخر كتاب شرح لامية العجم لأبي البقاء العكبري "، وهكذا فعل الصفدي ت٧٨١هـ، والدميري ت ٨٠٨هـ، وغيرهم في شروحهم لها، وهكذا ذكرها المترجمون للطغرائي بهذا الاسم، ومنهم : ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ في معجم الأدباء، وابن خلكان ت٦٨١ في وفيات الأعيان، وغيرهما.

إن هذه القصيدة كتبت بلسان عربي مبين، ولم تكتب بالفارسية وترجمت إلى العربية، إنها بحق من روائع الشعر العربي، وقد تناولها الشراح بتفسير مفرداتها وتوضيح معانيها، كما قاموا بإعراب ألفاظها، ومما يدل على مكانتها تعدد الشراح لها، فقد جاوز عدد شروحها عشرة شروح ما بين مطبوع ومخطوط.

وعلل الصفدي أحد شراحها هذه التسمية، فقال: وأما القصيدة اللامية، فإنها سميت لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب؛ لأنها تضاهيها في حكمها وأمثالها. ولامية العجم هي التي قالها الشنفرى[1]، وأولها: (الطويل)

[1] الشنفرى (؟ – ٧٠ ق. هـ / ؟ – ٥٥٤ م)، عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان. شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ.

ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية مردها أن الطغرائي من أصبهان.

تطبيقات :

(١) قدم تعريفاً بالطغرائي قائل النص .

(٢) لم سميت القصيدة بلامية العجم ؟

عشائرهم. قتلهُ بنو سلامان، وقيست قفزاته ليلة مقتلهِ فكان الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة، وفي الأمثال (أعدى من الشنفري). وهو صاحب لامية العرب، شرحها الزمخشري في أعجب العجب المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرَّد ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب. وللمستشرق الإنكليزي ردهوس المتوفي سنة ١٨٩٢م رسالة بالانكليزية ترجم فيها قصيدة الشنفري وعلق عليها شرحاً وجيزاً .